الدرس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه وتستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، اللهم علِّمنا ما ينفعنا وزدنا علما ، واجعل ما نتعلمه حجة لنا لا علينا ، اللهم إنا نسألك علما نافعا وعملا صالحا ورزقا طيبا والتوفيق لما تحبه وترضاه . ونواصل قراءتنا في كتاب «أصول الإيمان» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

قال المؤلف رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسامعين :

باب قول الله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدثني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلةً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ رُمي بنجم فاستنار فقال : ((ما كنتم تقولون إذا رُمِي بمثل هذا ؟)) قالوا : كنا نقول وُلِد الليلة عظيم أو مات عظيم ، فقال : ((إنها لم تُرمَ لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا عز وجل إذا قضى أمراً سبَّحت حملة العرش حتى يسبِّح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل السماء الدنيا ، فيقول الذين يلون حملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيُخبرونهم ماذا قال ،

فيستخبِر أهل السماوات بعضهم بعضاً حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيلقونه إلى أوليائهم ، فما جاءوا به على وجهه فهو الحق ولكنهم يقذفون ويزيدون)) رواه مسلم والترمذي والنسائي .

****

قال المصنف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: ((**بابٌ قول الله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾** [سبأ:٢٣])) ؛ هذه الآية جاءت لبيان وجوب توحيد الله عز وجل وإخلاص الدين له وإفراده جل وعز بالعبادة ، وبطلان الشرك واتخاذ الأنداد الذين يُدعون من دون الله وتصرف لهم العبادة من دون الله جل وعلا . فهذه الآية جاءت مقررة لتوحيد الله مبطلة للشرك . وفهم هذه الآية يتطلب التأمل في الآيتين التين قبلها .

قال الله عز وجل: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ؛ فالسياق من أوله جاء لتقرير التوحيد وإبطال الشرك؛ إبطال اتخاذ الأنداد الذين يدعون من دون الله عز وجل ، بل إن هذه الآيات كما نبه العلماء رحمهم الله من أعظم الآيات التي تبطل الشرك ، بل قال بعض العلماء إنها تقطع شجرة الشرك من عروقها وتجتثها من أصولها ، بحيث إنها لا تبقي لمشركٍ متعلَّق ولا تبقي لمندد متمسَّك فهي تجتث الشرك من أصله وتقتلعه من عروقه ، ومَن تدبر هذه الآيات وفهمها نفعه الله تبارك وتعالى بها نفعا عظيما في إبطال الشرك ودحضه وتقرير التوحيد وتأصيله .

وقد بيَّن العلماء رحمهم الله وجه دلالة هذه الآية على اجتثاث شجرة الشرك واقتلاعها من عروقها؛ أن ما يتمسك به المشرك في دعائه لغير الله تبارك وتعالى وسؤاله لغيره جل وعلا لا يخرج عن أمور جاءت هذه الآية مبطلةً لها واحدًا تلو الآخر ، فلم تُبق لمشرك متعلق أو متمسك ، ذلك أن من يُدعى من دون الله تبارك وتعالى لابد أن يكون متصفًا بصفاتٍ إن وجدت فيه استحق أن يُدعى وإلا فإن دعاءه باطل وضلال ، وهذه الصفات جاءت هذه الآيات مبطلة لها واحدًا تلو الآخر .

❖ الأمر الأول: أن من يُدعى من دون الله يستحق أن يدعى لو كان يملك في هذا الكون ولو قدرًا يسيرًا أو شيئا ضئيلا ولو مثقال ذرة ملكًا استقلاليا ، فلو وُجد أحد بهذه الصفة فإنه يستحق أن يُدعى لهذا الملك الاستقلالي، ومعنى ملكًا استقلاليا أي ملَكه بدون أن يملِّكه الله تبارك وتعالى إياه وإنما استقل هو بملكه وانفرد بملكه . فأبطل الله عز وجل هذا الأمر الأول بقوله: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، كل من يُدعى من دون الله من الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء أو غيرهم لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ؛ أي مُلكًا استقلاليا بدون أن يملِّكهم الله تبارك وتعالى إياه ، والله يقول: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦] ، هذا الأمر الأول أُبطل .

❖ أمرٌ ثاني أو احتمال آخر إن وجد في أحد استحق أن يُدعى؛ وهو أن يكون شريكا للمالك في ملكه أو في شيء من ملكه ، فلو وُجد بهذه الصفة شريك للمالك للرب في ملكه أو في شيء من ملكه استحق أن يُدعى لهذه الشركة التي له مع المالك ؛ فأبطل الله عز وجل هذا الاحتمال الثاني بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ ؛ «وما لهم» أي من يُدعَون من دون الله ، «فيهما» أي السماوات والأرض ، «من شرك» أي من مشاركة ، ليس لمن يُدعى من دون الله تبارك وتعالى أي مشاركة في السماوات ولا في الأرض ، فهو لا يملك شيئا استقلاليا ، وليس له أيضا شيء في السماوات والأرض على وجه المشاركة مع المالك في ملكه ولو في جزء يسير، فأبطل الله عز وجل هذا الاحتمال الثاني .

❖ يبقى احتمال ثالث إن وجد استحق من وُجد به ذك أن يُدعى ؛ إن لم يكن مالكًا ولم يكن شريكًا للمالك في ملكه هناك احتمال ثالث إن وُجد فيمن يدعى من دون الله استحق أن يُدعى لوجود هذه الصفة فيه وهي : أن يكون معاونًا للمالك ، ليس مالكًا ولا شريكًا للمالك ولكنه معاون للمالك وظهير ومساعد ، فإذا وُجد أحد بهذه الصفة استحق أن يدعى فأبطل الله عز وجل ذلك بقوله ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ ؛ «وما له» الضمير يعود إلى الله سبحانه وتعالى ، «وما له» أي الله «منهم» أي ممن يدعون من دونه سبحانه وتعالى «من ظهير» أي من معاون ومساعد ووزير ونحو ذلك هذا أمر نفاه الله قال: ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ .

إذًا بطلت احتمالات ثلاثة أبطلها الله عز وجل واحدًا تلو الآخر حسب أهميتها ومكانتها ؛ نفى أولا أن يكون أحد مالكا لشيء في السماوات ولا في الأرض ملكا استقلاليا ، ثم أتبع ذلك بنفي وجود مشارك لله عز وجل في شيء من الملك ولو في قدر يسير ، ثم أتبع ذلك بنفي العوين أو الظهير أو المعين أو الوزير بقوله ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ .

❖ يبقى بعد هذه الاحتمالات الثلاثة احتمال رابع إن وُجد فإن من يوجد فيه هذا الوصف يستحق أن يدعى فأبطله الله عز وجل وهو: الشفيع الذي يشفع عند المالك ابتداءً ، أي بدون إذن المالك ، مثل شأن الناس الوجهاء والذين لهم مكانة عند أصحاب السلطة ولهم مكانة أيضا وثِقل في المجتمع فيستغل مكانته وجاهه ومنصبه فيدخل في الوقت الذي شاء ويشفع فيمن شاء ويطلب مستغلًا جاهه وهيبته ومكانته بدون إذن ،

ولهذا قال العلماء : إن المشركين في اتخاذهم الشفعاء شبَّهوا الله عز وجل بملوك الدنيا الذين يدخل عندهم الشفعاء بدون إذن وبدون استئذان ويطالب لفلان بكذا ولفلان بكذا ويرضخ الوالي أو السلطان لأمرهم تقديرًا لمكانته أو خوفا من منزلته أو نحو ذلك فيعطيه ما أراد ولا يردُّه فيما طلب خوفا أو هيبة أو طمعا أو نحو ذلك من الأمور التي توجد . فنفى الله عز وجل الشفيع الذي هو بدون إذن المالك سبحانه وتعالى . وقد كان المشركون يعتقدون في أصنامهم أن لها مكانة عند الله فتشفع لمن شاءت وتقرب من شاءت إلى الله سبحانه وتعالى ؛ ولهذا يتعلقون بها ويبكون عندها وترق قلوبهم ويسألونها ويرجونها لأنها تملك شفاعةً عند المالك تقرب من شاءت منه ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣] ، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس:١٨] أي أنها عندها استطاعة وقدرة بأن تشفع لنا عند الله فتدنينا منه وتقربنا منه وهذا شيء تملكه بزعمهم ، فأبطل الله سبحانه وتعالى هذا المتعلق الرابع بقوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ .

فما بقي لمشرك متعلق ، من يدعو غير الله بماذا يتعلق ؟ هذا الذي يتجه إليه بالدعاء والسؤال والطلب والإلحاح والذل بماذا يتعلق؟ هو ليس مالكا ، ولا شريكا للمالك ، ولا عوينا للمالك ، ولا يستطيع أن يشفع عند المالك بدون إذن ؛ فلماذا يتعلق به؟! فإذًا الآية كما وصف العلماء رحمهم الله اجتثت شجرة الشرك من عروقها واقتلعتها من أصولها بحيث إنه لم يبقَ لمشرك متعلق .

ثم في هذا السياق العظيم جاء هذا الموضع الذي جعله المصنف رحمه الله هنا عنوانًا للترجمة وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ ؛ أنت الآن فهمت السياق ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ من هم ؟ السياق الآن في إبطال الشرك وإبطال دعاء غير الله ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وممن يُدعون من دون الله ويُلتجأ إليهم من دون الله ملائكة الله ، فأيضا في أثناء هذا السياق الذي جاء لإبطال الشرك بيَّن رب العالمين سبحانه وتعالى حال هؤلاء الملائكة الذين هم أعظم المخلوقات أجسامًا وقوة وقدرة أن حالهم إذا تفكر فيها المتفكر وتأمل فيها المتأمل حالهم مع الله تكشف كشفا واضحا وتبين بيانا جليا أن العبادة لا يستحقون منها ولا ذرة ، لا يستحقون منها شيئا ، وأن العبادة حق لمن خلقهم وأوجدهم ، وأن حالهم مع الخالق العظيم سبحانه وتعالى هي حال ضعف وحال فزع وحال خوف ، مع قوتهم وما آتاهم الله عز وجل من البسطة في الأجسام والقوة والقدرة كل هذه الأمور ليست مخوِّلة لأن يصرف لهم شيء من العبادة لأنهم عباد لله عز وجل ، عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ورب العالمين يقول في شأن هؤلاء الملائكة: ﴿وَمَنْ يَقُلْ

مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء:٢٩] ، فهم عباد لله سبحانه وتعالى وحالهم مع الله جل وعلا حال ضعف .

وأنت إذا جمعت هنا في هذا الموضع بين نظرين:

- النظر الأول : تتفكر في حال الملائكة من حيث ضخامة الأجساد القوة التي آتاهم الله القدرة التي آتاهم الله .
- والنظر الثاني: تأمل أيضا في حالهم مع الله تجدها حال خشية خوف فزع التجاء إلى الله تسبيح تضرع ؛ هذه حالهم مع الله سبحانه وتعالى عبادٌ لله عز وجل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

النظر الأول استعن فيه بالآيات والأحاديث التي تصوِّر لك حال الملائكة ، الملائكة أعطاهم الله عز وجل من كبر الأجسام شيء لا يخطر ببالك وأعطاهم الله عز وجل من القوة والقدرة شيء لا يخطر ببالك ، منحهم الله عز وجل أمورًا وأقدرهم على أشياء سبحانه وتعالى والأمر بيده سبحانه ، ولهذا تأتي أحاديث كثيرة تندهش عندما تقرأها في بيان ما يتعلق بأجسام الملائكة وكبرها ، أو ما يتعلق بقوة الملائكة وقدرتهم وما آتاهم الله عز وجل من أمور ، تندهش عندما تقرأ ذلك . على سبيل المثال ما جاء في الحديث الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : ((أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ)) يعني لو أن طيرا أراد أن يطير من العاتق إلى شحمة الأذن يحتاج إلى سبعمائة سنة طيران حتى يصل إلى شحمة الأذن . بالنسبة لنا نحن المسافة هذه ما تكفي أن يقف الطير فضلا عن أن يطير يحتاج إلى سبعمائة سنة طيران ، هذه المسافة ما بين شحمة الأذن إلى العاتق فما هي المسافة بين بقية أجزاء بدنه ؟ هذه ضخامة في الأجسام وأيضا ما أعطاهم الله عز وجل من قوة أحد الملائكة يحمل قرية بكاملها بما فيها من سكان ويقلبها رأسا على عقب ((لو شئت لأطبقت عليهم الأخشبين)) جبلين يطبقهما على من فيهما ، أعطاهم الله جل وعلا قدرة .

فيتفكر الإنسان في هؤلاء الملائكة من جهة ما أعطاهم الله من القوة ومن القدرة ، وأيضا تفكر في الجانب الثاني الذي لا ينبغي أن يغفل عنه وهو ذل هؤلاء الملائكة وانكسارهم بين يدي الله جل وعلا وضعفهم وافتقارهم إلى الله وعدم غناهم عنه طرفة عين؛ هذه المعاني لابد أن تكون حاضرة عند الإنسان ، إن غفل عنها ونسيها ولم يحضرها في ذهنه تورط فيما تورط فيه غيره ممن وقع في الشرك ، إذا غفل عن أن هؤلاء عباد لله مسخرون مربوبون مدبرون بتدبير الله سبحانه وتعالى وقع فيما وقع فيه غيره من الشرك والاستنجاد بغير الله ، إما ينظر إلى قدرة من يدعوه أو ينظر إلى قوته أو ينظر إلى مكانته أو ينظر إلى أمور أخرى من هذا القبيل ويغفل عن جانب آخر كان يجب أن ينظر إليه وهو أنهم عباد لله سبحانه وتعالى طوع أمره وتسخيره وتدبيره جل وعلا . فالآية تبين لك هذا المعنى .

قال : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ ما معنى «فزع عن قلوبهم»؟ قال العلماء في كتب التفسير: أي زال الفزع عن قلوبهم ، هذا الفزع متى يحدث؟ يحدث كما سيأتي في الحديث الذي ساقه المصنف أن الله عز وجل عندما يتكلم بالوحي تخر الملائكة صعقة ، الملائكة الذين عرفت شيئا من أوصافهم وقوتهم وأجسامهم وضخامتهم وقدرتهم إذا تكلم الله سبحانه وتعالى بالوحي خرت صعقة ، الملائكة تصاب بغشي يغشى عليها تصعق خضعانا لقوله وذلا وانكسارًا بين يديه تبارك وتعالى ، إذا تكلم بالوحي . ثم يصف الله عز وجل حال الملائكة عندما يزول عنهم الفزع الذي أصابه عندما تكلم الله جل وعلا بالوحي ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي أزال الله عنهم الفزع الذي في قلوبهم ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ يسأل الملائكة بعضهم بعضا ماذا قال ربكم ؟ فيجيبون ﴿قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ .

ويجب أن تنتبه هنا أن هذه الآية سيقت لإبطال الشرك ، إذا قرأت معها الآيتين قبلها فهمت أنها سيقت لإبطال الشرك ، فكأنه يقال: هؤلاء الملائكة الذين آتاهم الله ما آتاهم من القوة والقدرة وضخامة الأجسام إلى غير ذلك لا يستحقون من العبادة شيء ، كأنه يقال لك تأمل حالهم عندما يتكلم الله بالوحي ؛ ما أن يتكلم سبحانه وتعالى بالوحي إلا وتخر الملائكة صعقة ، تُصعق ويصيبها غُشي ، وإذا زال عنها هذا الصعق والغشي وقامت من هذا الفزع سألت الملائكة ماذا قال ربكم؟ فيجابون «قال الحق وهو العلي الكبير» . فهذا كله جاء لإبطال الشرك ، حتى ما خُتمت به الآية بذكر هذين الاسمين الكريمين هما أيضا في تقرير التوحيد إبطال الشرك «العلي الكبير» ، العبادة حق لمن؟ العبادة حق للعلي الذي له العلو علو الذات وعلو القدر وعلو القهر ، والكبير الذي لا أكبر منه سبحانه وتعالى . وانتبه هنا لقوله «الكبير» كل ما يخطر في بالك من كِبر كل ما يخطر في بالك من عظمة فهي ليست شيئا أمام عظمة الله سبحانه وتعالى وكبره ، كبر الملائكة ضخامتها قدرتها قوتها ليست شيئا أمام قدرة الله سبحانه وتعالى، فهي قدرة أقدرهم الله عليها وأجسام منحهم الله تبارك وتعالى إياها ؛ فكيف يصرف لهم العبادة التي هي حق لله ولاُ يتوجه فيها لمن أعطاهم ولمن منحهم ولمن تفضل عليهم وهو رب العالمين الذي بيده تبارك وتعالى أزمة الأمور .

فإذًا قوله سبحانه وتعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ هذه الآية جاءت مقرّرة للتوحيد مبينةً لعظمة الله سبحانه وتعالى وجلاله وكماله وأنه الرب المتصرف المالك المدبر وجميع المخلوقات عظمت أو صغرت طوع تدبيره وتسخره جل وعلا ، لا خروج لأحد عن قدَره جل وعلا وأمره ، أمره نافذ وقدرته سبحانه وتعالى شاملة ، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ؛ كل هذه المعاني العظيمة تبين للإنسان عظمة الله جل وعلا وأنه وحده الذي يستحق أن يُصرف له الذل ويصرف له الخضوع وتصرف له العبادة بجميع أنواعها.

ثم أورد رحمه الله حديث ابن عباس في مسلم والترمذي والنسائي وهو من الأحاديث التي تبين معنى الآية الكريمة ، قال عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ((**حدثني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ رُمي بنجم**)) المراد بالنجم هنا : الشهب التي ترجم ويرمى بها الشياطين ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾[الملك:٥] ، فهذه النجوم أو هذه الشهب جعلها الله سبحانه وتعالى رجومًا للشياطين تُرجم بها ، والمراد بالشياطين: أي الشياطين الذين يصعد بعضهم فوق بعض من أجل استراق السمع ، أي استراق الكلام الذي يدور بين الملائكة ، وهذا الكلام الذي يدور بين الملائكة هو نتيجة تكلُّم الله سبحانه وتعالى بالوحي ، فهو إذا تكلم بالوحي خرت الملائكة صعقة ، ويكون أول من يفيق جبريل فيخبره سبحانه وتعالى من وحيه بما يشاء ، ثم جبريل يخبر أهل السماء ، ثم أهل كل سماء يخبرون أهل السماء التي دونها إلى أن يبلغ الأمر إلى أهل السماء الدنيا من الملائكة ؛ فيتحدثون بهذا الأمر والشياطين تصعد بعضها فوق بعض من استراق كلمة واحدة ، لماذا هذا الصعود؟ بل لماذا هذه المخاطرة؟ هذه مخاطرة عجيبة جدًا ومغامرة يخاطرون بأرواحهم وبأعمارهم ويضحُّون يصعد الواحد فوق الواحد إلى أن يقرب من السماء الدنيا حتى يلتقطوا كلمة واحدة ، ثم قد يلتقط الكلمة وقد يضربه الشهاب قبل أن يلتقطها ، وإذا التقط الكلمة ما ينزل بها بل هو متوقع أن الشهاب سيضربه قبل أن ينزل فيُلقيها إلى الذي تحته مباشرة ومن تحته يلقيها ، بحيث لو ضرب الأعلى أو ضرب من هم في الأعلى تكون الكلمة تنزلت ، ويذهب ضحية هذه المخاطرة عدد منهم ، يضربهم شهاب فيموتون ويهلكون ، يخاطرون لماذا ؟ ماذا وراء هذه المخاطرة وماذا وراء هذه المغامرة؟ إضلال بني آدم وهم يدركون أن مخاطرتهم هذه لها ثمرات في إضلال الناس وصدهم عن دين الله سبحانه وتعالى ، يخاطرون ثم يأتون بهذه الكلمة إلى الكاهن، يلقونها على الكاهن فيمزج الكاهن بها مئة كذبة ، ليس عشر ولا عشرين يمزج بها مئة كذبة ثم يبدأ يتكهن ويجعل من ضمن الأمور التي يقولها لهم هذا الأمر الذي وصله مما استرقه الجن ، ما الذي يحدث في الناس؟ قال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر : ((فيذكرون صِدقه في هذه المرة وينسون كذبه في المرات الكثيرة، ويقولون ألم يقل في يوم كذا كذا وكذا؟)) تبقى هذه عالقة في أذهانهم ليروج من خلالها كذبه المتراكم ، ألم يقل يوم كذا كذا وكذا؟ وكان فعلا صادقا وكان الأمر على ضوء ما أخبر ! فيذكرون صِدقه وينسون كذبه ؛ فتكون الفتنة في الناس ويكون تصديق الكهان والتعلق بالشياطين والانصراف إلى غير الله عز وجل بالذل والخضوع وطلب الشفاء ، هذا كله من مكر الشياطين وكيدهم ومن مصائدهم التي يضعونها لبني آدم لصدهم عن دين الله وعن عبادته سبحانه وتعالى .

قال عليه الصلاة والسلام : ((**ما كنتم تقولون إذا رُمِي بمثل هذا ؟**)) ما كنتم تقولون أي: في الجاهلية قبل أن يمنَّ الله عز وجل عليكم بالإسلام بهذا الدين العظيم ؛ إذا رمي بهذه الشهب أي شيء كنتم تقولون ؟

((**قالوا كنا نقول: وُلِد الليلة عظيم أو مات عظيم**)) هذه عقيدتنا ، عقيدتنا دائما إذا رأينا الشهاب يرمى قلنا وُلد عظيم هذه الليلة أو مات عظيم ، فيجعلون رمي الشهاب دليل على موت عظيم أو ولادة عظيم ، وانظر كيف صرفهم الشيطان عن الحكمة من رمي الشهب وشغَلهم بهذا الاعتقاد أنه وُلد الليلة عظيم أو مات الليلة عظيم، وصرفهم الشيطان عن هذا الرمي ما هو مقصده وما المراد به؛ فماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام ؟

قال : ((**إنها لم تُرمَ لموت أحد ولا لحياته**)) هذه العقيدة التي تعتقدون عقيدة خاطئة لا أصل لها ولا صحة لها ، ليست ترمى لموت أحد ولا لحياته ، إذًا لماذا ترمى؟ يأتي السؤال؛ فيبين عليه الصلاة والسلام قال : ((**ولكن ربنا عز وجل إذا قضى أمراً**)) أي من قضائه الكوني وأمَر بأمر ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]

((**إذا قضى أمرا سبَّحت حملة العرش**)) سبَّحت الله عز وجل أي نزهته ، لأن التسبيح هو التنزيه ، فسبحت حملة العرش أي: قالوا سبحان الله سبحان الله ، يسبحون الله جل وعلا، وهذا يفيدنا عظمة هذه الكلمة وجلالة قدرها وأنها كلمة من كلمات الدين العظيمة جدا .

قال: ((**سبَّحت حملة العرش**)) وهذا فيه الدليل على إثبات حملة العرش من الملائكة وثبوت هذا في القرآن ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر:٧]

((**سبحت حملة العرش حتى يسبّح أهل السماء الذين يلونهم**)) يعني يسبِّح أهل السماء الذين يلون حملة العرش ((**حتى يبلغ التسبيح أهل السماء الدنيا ، فيقول الذين يلون حملة العرش**)) بعد هذا التسبيح الذي تداولوه كلهم إلى أن نزل إلى أهل السماء الدنيا ((**فيقول الذين يلون حملة العرش : ماذا قال ربكم ؟**)) أي ماذا قال من الأمر الذي أمر به سبحانه وتعالى ((**فيُخبرونهم ماذا قال**)) أي يخبرونهم بالشيء الذي قاله الله سبحانه وتعالى .

قال: ((**فيستخبِر** –أي يسأل– **أهل السماوات بعضهم بعضاً حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا ؛ فتخطِف الجن السمع**)) تخطف: أي تلتقط السمع ، وهم لا يلتقطون إلا شيئا يسيرا جدا ، والله حمى السماوات من استراقهم للسمع بالشهب التي تأتيهم من كل جهة ، قال عز وجل ﴿دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات:٩-١٠] فهم الشهب تأتيهم من كل جانب ومن كل جهة والسماء محمية بالشهب ولا يأخذون من السمع إلا شيء يسير ، ولايزالون في مخاطرات متوالية ، مخاطرة تلو مخاطرة وأرواح من أرواحهم تزهق كثيرة جدا ولا يبالون بذلك في سبيل أن يضل بني آدم .

قال: ((**فتخطف الجن السمع فيلقونه إلى أوليائهم**)) أي من الكهنة والسحرة والعرافين والمشعوذين وغيرهم من إخوان الشياطين

((**فيلقونه إلى أوليائهم ، فما جاءوا به على وجهه فهو الحق**)) يعني فهو حق مما التُقط ، مما التقطه الجن واسترقوه من السمع ((**ولكنهم يقذفون ويزيدون**)) يقذفون فيه أي يقذفون فيه ويلقون فيه أشياء كثيرة ويزيدون فيه زيادة كبيرة والهدف من هذا كله إضلال بني آدم.

أنت إذا قرأت هذا السياق المبارك العظيم بيَّن لك حال الملائكة وأن الملائكة عندما يتكلم الله بالوحي أو بالقضاء فالملائكة تسبِّح وتعظم الله وتنزه الله تبارك وتعالى ، وليس لها حول ولا قوة والأمر بيد الله سبحانه وتعالى التدبير تدبيره والتسخير تسخيره ، ولا يكون في ملكه سبحانه وتعالى شيء إلا شيء شاءه وأراده ، الملائكة ليس بيدها شيء ، مع ما آتاهم الله من القدرة والقدرة ليس بيدهم شيء أبدًا ، الأمر كله بيد الله جل وعلا . أيضا الحديث الآخر يوضح هذا المعنى .

قال رحمه الله تعالى :

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة –أو قال رعدة شديدة– خوفًا من الله عز وجل ، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا أو قال خروا لله سجدا ، فيكون أول من يرفع رأسه جبرائيل عليه السلام فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبرائيل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائمتها ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول ﴿ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ ، فيقولون كلهم مثل ما قال جبرائيل ، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل)) رواه ابن جرير وبن خزيمة والطبراني وابن أبي حاتم واللفظ له .

****

ثم أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث حديث النواس بن سمعان وهو يفسر الآية ويبين معناها ، والسنة شارحة للقرآن ومفسرة له ؛ فيقول عليه الصلاة والسلام: ((**إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي**)) وهذا فيه إثبات الكلام لله عز وجل ، أنه جل وعلا إذا أراد أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي ، والملائكة عباد لله عز وجل وكّل الله عز وجل إليهم مهام متنوعة ؛ منهم من وكل بقبض الروح ، منهم من وكل بالمطر ، منهم من وكل بكتابة أعمال العباد ، إلى غير ذلك من الأمور التي وكلها الله سبحانه وتعالى للملائكة أو أمَر الملائكة بالقيام بتنفيذها .

((**إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة**)) أي ترتجف السماوات إذا تكلم الله بالوحي ارتجفت السماوات أو ارتعدت شك الراوي ((**أخذها رجفة أو رعدة**)) ، وهذا يبين لنا أن السماوات

تحصل لها هذه الرعدة خوفا من الله وخشية من الله، هذه السماوات الطباق مترامية الأطراف إذا تكلم الله بالوحي ارتعدت أخذها رعدة خوفا من الله سبحانه وتعالى ،قال ((أخذت السماوات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفا من الله))

((**فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا**)) أي أصيبوا بالصعق عندما يسمعون ذلك ، والسماوات ترتعد تصاب السماوات برعدة خوفا من الله عز وجل ، الملائكة في هذه الحال يصعقون يصابون بالصعق يُغشى عليهم .

قال: ((**صعقوا أو قال خروا لله سجدا**)) وجاء في بعض الأحاديث ((خضعانا لقوله)) أي خاضعين لقول الله تبارك وتعالى ؛ هذه حال الملائكة : ذل وانكسار وخضوع وخشية وخوف من الله تبارك وتعالى يصعقون ، هذه حالهم بين يدي ربهم ومالكهم جل وعلا .

((**فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام**)) حتى هو أيضا يصاب بما يصاب به الملائكة ؛ فيصاب بما يصاب الملائكة من الصعق والغشي لكنه يكون أول من يفيق .

((**فيكلمه الله من وحيه بما أراد**)) فيسمع جبريل عليه السلام كلام الله من الله ، فالذي يكلم جبريل من الوحي بما يشاء ليس إلا رب العالمين جل وعلا ، الله هو الذي يكلمه ، وجبريل يسمع كلام الله من الله بلا واسطة ، يسمعه منه جل وعلا بحروفه وبصوته سبحانه وتعالى ؛ ولهذا من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله عز وجل يتكلم بحرف وصوت ، والذي يسمعه جبريل من الله هو كلمات بصوت يسمعه جبريل عليه السلام ، وهذا كلامٌ ثابت لله جل وعلا يليق بجلاله وكماله وعظمته . وما يقوله أهل البدع يلزم من هذا كذا ويوردون لوازم عقلية ينشئونه هذا كله لا قيمة له ، كلام باطل نتيجته جحد ما أثبته الله وجحد ما أثبته رسوله صلى الله عليه وسلم ، والمسلم العاقل لا يلتفت إلى كلام المتكلمين وخوض هؤلاء الخائضين في الله وفي صفاته وأسمائه بغير علم ، بل هذا كله يعرض عنه ولا يلتفت إلى شيء منه . فالله يتكلم سبحانه وتعالى وكلامه بحرف وصوت ، وجبريل يسمع كلام الله من الله؛ ولهذا قال هنا في الحديث ((**فيكلمه الله من وحيه بما أراد**)) يكلمه الله ليس الذي يكلمه غير الله بل الله يكلمه بوحيه بما أراد وهو العلي ﴿قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ .

((**فيقولون كلهم مثل ما قال جبرائيل**))﴿قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ، والرواية الأخرى فيها أيضا بيان أنه يخبرهم بما تكلم الله به وبما سمعه من الله سبحانه وتعالى ، ولهذا مر معنا في الرواية السابقة ما يدل على هذا المعنى قال : ((فيقول الذين يلون حملة العرش ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال)) يعني يخبرونهم بالشيء الذي قاله سبحانه وتعالى . قال ((**فيقولون كلهم مثلما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث امره الله عز وجل**)) .

الشاهد أنك إذا تأملت هذا الحديث وضَّح لك معنى الآية ، والآية سيقت لتبين لك ضعف الملائكة وحالها مع الله، وأنها تصعق وتخاف وتصاب بالغشي ، وأنها تخر صعقة لله سبحانه وتعالى إذا تكلم بالوحي ؛ فأنت إذا عرفت

حال الملائكة بهذه الصفة تبين لك أنها لا تستحق من العبادة شيئا ، وإذا بطلت عبادة الملائكة فغيرها من المخلوقات من باب أولى ، لأن الله عز وجل آتى الملائكة من كبر الأجسام والقدرة والقوة ما لم يؤتِ غيرها من المخلوقات .

فالشاهد أن هذا كله مما يبين لنا عظمة الله جل وعلا وأنه مستحق للعبادة وأن العبادة حق له جل وعلا ؛ فلا يدعى إلا الله ولاُ يسأل إلا الله ولا يستغاث إلا بالله ولا يُطلب المدد والعون إلا من الله جل وعلا ، ومن صرف شيئا من هذه الأمور لغير الله ما عرف التوحيد ولا عرف ربه سبحانه وتعالى وكان أمره في ضياع ؛ حيث يصرف الغاية المقصودة التي خُلق لأجلها إلى غير الخالق العظيم والرب الجليل عظم وتقدس سبحانه وتعالى .

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .